

الشيخ الطاهر ابن عاشور: حياته وتراثه العلمي في التفسير

د. محمد بنعمر⁽¹⁾

مستخلص:

يُعدّ تفسير «التحرير والتنوير» للشيخ الطاهر ابن عاشور موسوعة تفسيرية كبيرة؛ لما حمله من علوم، وما تضمّنه من نقول، وما جاء فيه من شواهد ومعارف، ولاسيما المعارف اللغوية والبلاغية والمعجمية، وهو ما مكن هذا التفسير من أن ينال متابعات واسعة ودراسات أكاديمية كبيرة بين الباحثين والمشتغلين بالدراسات القرآنية، فقد كان لعلمي اللغة والبلاغة والمعجم الحظّ الأوفر والنصيب الأكبر في هذا التفسير، وهذا ما يقف عنده المتابع والدارس لهذا التفسير.

مسعانا في هذه الورقة البحثية هو أن نعرّف بهذه الموسوعة التفسيرية الكبيرة، مع بيان المتابعات الواسعة والدراسات الأكاديمية الكبيرة التي نالها هذا التفسير بين الباحثين في الدراسات القرآنية.

(1) أستاذ التعليم العالي في كلية الآداب في وجدة، عضو المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين، عضو مختبر تكامل العلوم في كلية الآداب في جامعة القاضي عياض في مراكش بالمغرب.

كلمات مفتاحية:

الطاهر ابن عاشور، التفسير، التحرير والتنوير، اللغة والبلاغة

مقدمة:

القرآن الكريم هو كتاب الأمة الإسلامية ومنهجها في الحياة، منه كانت تستقي أحكامها وتستمد قيمها العليا، بحيث قامت بحوث عدة نظرية وأخرى أكاديمية، وأنجزت دراسات تطبيقية كثيرة لخدمة كتاب الله تحقيقاً وتوثيقاً واستمداداً وبياناً على امتداد العصور وعلى مرّ الأزمان، وهو ما جعل العلماء يتناولون القرآن الكريم بالبحث، ويتابعونه بالدرس في جميع أبعاده ومكوناته وجهاته، وفي جميع امتداداته الزمانية والمكانية.

ومن أبرز الغايات التي قصدها علماء التفسير في عنايتهم بالقرآن الكريم: استمداد معانيه والوصول إلى مقاصده، والنظر في ألفاظه ومتابعة دلالة هذه الألفاظ تبعاً للسياق والمقتضيات التي ترد فيها، وإفراد وتخصيص معاجم قطاعية للمفردة القرآنية في أصل استعمالها أو في تداولها أو تحويلها حسب سياقات الاستعمال، وهذا يعدّ من أبرز الحقول المعرفية التي اشتغل عليها علماء الإسلام وتعاطاها علماء القرآن والتفسير على مرّ العصور والأزمان.

فجهة فهم النص القرآني، والعناية بتفسيره وتحقيق مقاصده العليا من خلال رسم الضوابط ووضع الأصول وإقامة الشروط والقواعد والمقتضيات الناظمة للفهم والتلقي، والكاشفة والمظهرة لطرائق تحقيق المراد والوصول إلى القصد، وهذا يعدّ من أبرز مقدّمات المشاغل التي نالت عناية علماء الإسلام، لأنّ مقصد البيان هو أول مقاصد الشريعة الإسلامية.

ومن التفاسير التي استثمرت اللغة العربية واستفادت من علومها بأنواعها المختلفة: تفسير «التحرير والتنوير» للشيخ الطاهر ابن عاشور الذي يعتبر من أشهر التفاسير في العصر الحديث وأعمقها في تقريبه لعلوم الاستمداد بشكل كبير قاصداً بيان المعاني في النص القرآني.

الشيخ الطاهر ابن عاشور حياته ومساره وتراثه العلمي:

عادةً ما يصنّف الشيخ الطاهر ابن عاشور «1269م 1973م - م» من الشخصيات العلميّة والفقهية الكبيرة، فقد اشتهر بمشاركته وريادته في مختلف العلوم، ويُعدّ تفسيره «التحرير والتنوير» من التفاسير الموسوعيّة التي احتفظت بشتى العلوم الشرعيّة والأدبيّة واللغويّة، فصاحبه عالم متبحّر وواسع الاطلاع في العلوم اللغويّة والشرعيّة والأدبيّة، ولا يكاد يوجد فنٌّ شرعيّ إلا وكانت له فيه مشاركة.

تعريفه:

هو أبو عبد الله محمّد الطاهر ابن الشيخ محمّد بن محمّد الطاهر بن الشيخ محمّد بن الشيخ محمّد الشاذليّ بن عبد القادر بن الشيخ محمّد بن عاشور الشريف الحسنيّ الأندلسيّ⁽¹⁾.

مولده: وُلد محمّد الطاهر ابن عاشور بالمرسى في ضواحي مدينة تونس سنة 1296هـ. ورث العلم عن أجداده، وبخاصّة جدّه وسميّه الشيخ محمّد الطاهر ابن عاشور، وكانت أسرته لأمّه أسرة علم وجاه، وقد برز فيها جدّه الوزير محمّد العزيز بوعتور المتوفى سنة 1325هـ.

طلبه للعلم: لم يحد الشيخ محمّد الطاهر ابن عاشور عن نهج أجداده في طلب العلم، فبدأ بحفظ القرآن الكريم في صباه، ثمّ حفظ مجموعة من المتون العلميّة، ولمّا بلغ أربعة عشر عامًا التحق بجامعة الزيتونة فدرس

(1) للوقوف على شخصيّة الطاهر ابن عاشور وتراثه العلميّ يراجع الكتب التالية:

- «الشيخ محمّد الطاهر ابن عاشور؛ قضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلاميّ المعاصر»؛ وهو كتاب جماعيّ من منشورات المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ سنة 2011م.
- «شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمّد الطاهر ابن عاشور»، للدكتور بن الخوجة محمد الحبيب، طُبِع على نفقة صاحب السموّ الملكيّ حمد بن خليفة آل ثان بإشراف من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة في قطر سنة 2004م.
- «شيخ الجامع الأعظم: الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره»، للدكتور بلقاسم الغالي، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، 1996م.

فيها سبع سنوات إلى أن «أحرز شهادة التطويح سنة 1317هـ / 1896م»⁽¹⁾.
تعلم القرآن في صباه حفظاً وتجويداً وقرآناً، وتعلم علوم العربية
وعلوم الشريعة، والتحق بجامعة الزيتونة ليعمل في مختلف المناصب
الدينية، ومن أبرزها منصب الإفتاء والقضاء.⁽²⁾

وقد نشأ الشيخ الطاهر ابن عاشور في ظروف صعبة، حيث انتشر في
عصره الجهل، واتسعت الأمية وتدهورت الحالة الاقتصادية، ولكن هذه
الظروف الصعبة لم تكن مانعة من انخراط الشيخ الطاهر ابن عاشور
ومشاركته في الحياة العلمية من أجل انتشار البلاد وإخراجها من واقعها
المظلم والمتدهور.

شيوخه:

تلقى الشيخ ابن عاشور العلم على شيوخ عصره وزمنه؛ منهم جدّه
لأمّه الوزير محمد العزيز بوعتور، والشيخ سالم بوحاجب، والشيخ صالح
إبراهيم، والشيخ صالح الشريف، والشيخ إبراهيم المارغني وغيرهم من
شيوخ العلم في عصره.

تلاميذه:

تخرج على يدي الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور كثير من العلماء؛
منهم: ابنه محمد الفاضل ابن عاشور المتوفى سنة 1970م، والأستاذ عبد
الملك ابن عاشور، والمصلح الشيخ عبد الحميد ابن باديس المتوفى سنة
1940م، والشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة الأديب والناقد.

(1) الغالي، د. بلقاسم: شيخ الجامع الأعظم الطاهر ابن عاشور؛ حياته وآثاره، الطبعة الأولى، دار ابن
حزم، 1996م، ص 68.

(2) تراجع أعمال مؤتمر «الإمام ابن عاشور وإعادة تأسيس العقل الفقهي الإسلامي» الذي انعقد في
تونس سنة 2014م.

وقد شهد له كل من عاصره بالذكاء والفائق والنبوغ العلمي، وبسعة الاطلاع على اللغة والآداب والشعر وعلوم الشريعة، فكان متمكناً من آداب اللغة العربية ومن شعرها ومن علومها.

ويعدّ الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة من أبرز تلاميذ الشيخ الطاهر ابن عاشور، وقد قال في حقّ شيخه الطاهر ابن عاشور:

«عرفته عن قرب من ثلاثة عقود خلت، وكنت كثير التردد والاستماع إليه، والتبّع لنشاطه والإفادة من أخلاقه وعلمه الواسع»⁽¹⁾.

أما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي المصلح الجزائري فقد قال في شأن الشيخ الطاهر ابن عاشور: «الأستاذ الأكبر الشيخ الطاهر ابن عاشور علم من الأعلام الذين يعدّهم التاريخ الحاضر من ذخائره؛ فهو إمام متبحّر في العلوم الإسلاميّة، مستقلّ في الاستدلال بها، واسع الثراء في كنوزها، أقرأ وأفاد، وتخرّجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي، وتفرد بالتوسّع والتجديد لفروع العلم»⁽²⁾.

في حين اعترف الشيخ والمصلح عبد الحميد ابن باديس الجزائري للشيخ الطاهر ابن عاشور بأخلاقه العالية وبعلمه الغزير والواسع، وبفضله الكبير وبالرسوخ في العلم، وبأنّه علم من أعلام الإصلاح في العصر الحديث، فهو (أعني الشيخ ابن عاشور) من العلماء الذين تحمّسوا لآراء الأستاذ الشيخ محمد عبده واجتهاداته العلميّة، وفي أفكاره في الإصلاح، فاختر طريقه ومنهجه، ولاسيّما في إصلاح نظم التربية والتعليم التي كانت سائدة في زمانه.

هذا المنحى الإصلاحيّ الذي اتّخذه ابن عاشور سبيلاً والتزمه مع تلاميذه كان من آثاره أن تخرّج مجموعة من علماء عصره امتازوا بالموسوعيّة في

(1) بن خوجة، د. الحبيب: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة في قطر، 2004م، ص: 88.

(2) الطويل، د. محمد: مرجعيّات الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، ص: 6.

العلوم الإسلامية، وعلى تمكّن من قواعد اللغة العربيّة وبلاغتها وبيانها، وعلى جانب كبير من القدرة على التبليغ والمعرفة بطرق التدريس والقدرة على تربية الملكات في العلوم⁽¹⁾.

تراثه العلمي

من أبرز مؤلفات الشيخ الطاهر ابن عاشور التي نالت شهرة واسعة، وذاعت بين العلماء والباحثين:

-**التحرير والتنوير:** وهو اختصار لتفسيره التام للقرآن الكريم الذي أسماه «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». وقد صدر هذا العمل في مجموعة واحدة تتركب ممن 30 جزءاً في 15 مجلداً بعدما نُشر جزء منه في تونس سنة 1956م، وفي القاهرة سنتي 1965 و1966م، ثمّ تمّ طبعت الأجزاء منجّمة في تونس ابتداءً من سنة 1968م.

وقد بذل الشيخ محمّد الطاهر ابن عاشور جهداً كبيراً في هذا العمل الذي أخذ منه زمناً طويلاً؛ إذ تعمّق في معاني القرآن وإعجازه واستطاع أن يقدّم إضافات في ميدان التفسير.

-**مقاصد الشريعة الإسلامية:** حُقّق أكثر من مرّة؛ منها تحقيق الحبيب بلخوجة الذي صدر عن الدار العربيّة للكتاب بتونس سنة 2008م، وصدر مرّة أخرى منقحاً إذ أشرفت عليه دولة قطر ونشرته سنة 2004م، كما أقدم الدكتور محمّد الطاهر الميساويّ على تحقيقه ونشره بعنوان «مقاصد الشريعة الإسلامية للشيخ الطاهر ابن عاشور» بدار النفائس في الأردن سنة 1999م⁽²⁾.

(1) ابن عاشور، عبد الملك: مهرجان ابن عاشور، 1984م، ص3.

(2) يراجع: ابن عاشور، الشيخ الطاهر: مقاصد الشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار سحنون في تونس، 1427هـ/ 2006م، ص:12.

وعلى مضامين ومحتويات كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية قامت دراسات عدة وبحوث جامعية كثيرة حاولت تقصي المادة العلمية والفقهية في مضامين هذا الكتاب⁽¹⁾.

وكتاب مقاصد الشريعة هو الكتاب الثاني من حيث الأهمية والبحث في المقاصد بعد الموافقات للإمام الشاطبي، وهو الذي وضع الأسس والدعائم والمبادئ العامة لهذا العلم، فهو علم يساعد الفقيه على استنباط الأحكام الشرعية التي لم ترد فيها نصوص صريحة من الكتاب أو السنة، ويقوم بتنزيلها على تصرفات المكلف، وبفضل مراعاة مقاصد الشريعة في الاستنباط يتيسر للنصوص الشرعية أن تساير القضايا المستجدة التي تحدث وتطرأ في حياة المسلمين.

وهذا ما أفصح عنه الشيخ الطاهر ابن عاشور في مقدمة كتابه «مقاصد الشريعة الإسلامية»: إذ ذكر أن هذا العلم كان موجوداً ومتناثراً في كتب الأصول، ولاسيما في المصادر الأمهات المعتمدة بين العلماء، لكنَّ الفضل في إظهار هذا العلم وإخراجه بعد أن كان متفرقاً إنما يعود إلى الإمام الشاطبي الذي جمع هذا العلم وقعد أصوله، وخصَّص له حيِّزاً واسعاً في كتابه «الموافقات»⁽²⁾، ما يعني أن الإمام الشيخ الطاهر ابن عاشور كان مستأنف الريادة العلمية في علم المقاصد في الوقت الحاضر، وإن كان الإمام أبو إسحاق الشاطبي له قدم سبق الزماني في هذا العلم الإسلامي المتميز.

(1) من ذلك:

الحسني، إسماعيل: نظرية المقاصد عند الإمام محمّد الطاهر ابن عاشور، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي سنة 1995م.
بشير بن مولود، د. جحيش: حفظ المال؛ مسالكة ومقاصده عند الإمام محمّد الطاهر ابن عاشور، رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، أغسطس 2002م.
الميساوي، د. محمّد الطاهر: مقاصد الشريعة في حفظ الأموال عند الإمام محمّد الطاهر بن عاشور، مجلة التجديد الماليزية، المجلد العشرون، العدد التاسع والثلاثون (عدد خاص بالمقاصد). 1438 هـ / 2016م، ص200.

(2) المصدر نفسه، ص11.

ومما قاله الإمام أبو إسحاق الشاطبي في مقدمة كتابه: «فأنا اقتفي آثاره ولا أهمل مهمّاته، ولكن لا أقصد نقله ولا اختصاره»⁽¹⁾؛ فهو عند بعضهم يعدّ المعلّم الثاني في علم المقاصد بعد المعلّم الأوّل الذي هو الإمام الشاطبي الأندلسي مؤصّل هذا العلم ومقعّده⁽²⁾.

وقد لاقى هذا الكتاب شهرة واسعة بين العلماء، وظلّ من ضمن المصادر المعتمدة في معرفة هذا العلم الذي يعدّ من ضرورات الاجتهاد في الإسلام وأساسياته.

ومضافاً إلى هذا، فإنّ قيمة الكتاب تكمن في إلحاحه ودعوته إلى إحياء الاجتهاد، وهذا يعود إلى أنّ الشريعة الإسلاميّة شريعة حيّة ومرنة قادرة على استيعاب النوازل والأقضية الجديدة بما تحمله من قواعد وكليّات مجردة عن عاملي الزمان والمكان، فهي شريعة تسير وتتفاعل مع جميع المستجدّات التي تطرأ على الواقع الجديد بفضل سعة أصولها ومرونة خطابها في استيعاب الوقائع التي أحدثها التطوّر السريع الذي يشهده العالم اليوم، وهو ما يدلّ على أنّ الشيخ الطاهر ابن عاشور له تميّز بين العلماء الذين اهتمّوا اهتماماً خاصّاً بعلم المقاصد في العصر الحديث، بحيث دعا إلى تطوير البحث ودراسة المقاصد بجعلها علماً مستقلاً قائماً بذاته.

بهذه القيمة العلميّة والمشاركة المتميّزة صار كتاب «مقاصد الشريعة الإسلاميّة» للشيخ الطاهر ابن عاشور من المراجع المعتمدة، ومن الكتب الأساس لفهم مقاصد الشريعة الإسلاميّة واستيعابها في بعديها النظريّ والتطبيقيّ والتنزيليّ⁽³⁾.

(1) ابن عاشور، مقاصد الشريعة، مصدر سابق، ص: 174.

(2) مقدّمة المحقّق الدكتور الطاهر التليلي لكتاب مقاصد الشريعة للشيخ الطاهر ابن عاشور، ص: 139.

(3) قراوري، بثينة: الرؤية المقاصديّة عند الشيخ الطاهر ابن عاشور، مجلة أصول الدين التونسيّة، العدد التاسع، سنة 2008م، ص: 45.

أما عن الهدف العامّ من تأليف هذا الكتاب، فيقول الشيخ ابن عاشور في المقدمة: «هذا كتاب قصدت منه إلى إملاء مباحث جليّة من مقاصد الشريعة الإسلاميّة والتمثيل لها والاحتجاج لإثباتها؛ لتكون نبراساً للمتفكّهين في الدين، ومرجعاً بينهم عند اختلاف الأنظار وتبدّل الأعصار، وتوسّلاً إلى إقلال الاختلاف بين فقهاء الأمصار، ودربة لأتباعهم على الإنصاف في ترجيح بعض الأقوال على بعض عند تطاير شرر الخلاف»⁽¹⁾.

ونظراً إلى القيمة العلميّة لهذا الكتاب فقد قال الدكتور عبد المجيد النجار في شأن تأثيره في المشتغلين بالمقاصد: «فلما كان عهد النهضة، واستعاد الفكر الإسلامي شيئاً من قوّة الدفع، نهض الإمام محمّد الطاهر ابن عاشور ليقوم بالدور الذي انتظره الإمام الشاطبيّ في الموافقات قروناً طويلة، وهو دور التطوير والتكميل والتهديب والتنضيج، فأخذ ما جعله الشاطبيّ مبحثاً أصلياً متميّزاً في علوم الأصول وهو مبحث المقاصد، واقترح أن يقع الارتقاء به ليصير في حدّ ذاته علماً قائماً تُنتخب مسائله وتُحقّق من بين علم أصول الفقه، وتصدع بالبحث لتصبح أصولاً قطعياً للتفكّه»⁽²⁾.

ومن غايات هذا العلم، كما كشف الشيخ ابن عاشور في مقدّمة كتابه، غاية حفظ النظام العامّ، وتحقيق الأمن الاجتماعيّ في الأمة.

-أصول النظام الاجتماعيّ في الإسلام: طبع في تونس سنة 1964م، ثمّ طبع بالجزائر سنة 1977م، وقامت دار السلام بمصر بإعادة طبعه وإصداره سنة 2019م. وهذا الكتاب موضوعه العامّ هو الإصلاح الاجتماعيّ، مبيّناً أنّ الإسلام دعا إلى إصلاح البشر في جميع نواحي حياتهم، وأنّ إصلاح العلاقات الاجتماعيّة مدخل لإصلاح نظام العالم»⁽³⁾.

(1) من مقدّمة «مقاصد الشريعة الإسلاميّة» للشيخ الطاهر ابن عاشور بتحقيق الطاهر التليليّ ص: 11.

(2) النجار، عبد المجيد: فصول في الفكر الإسلاميّ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، سنة 1992م، ص: 189.

(3) مقدّمة مقاصد الشريعة الإسلاميّة للشيخ الطاهر بن عاشور، ص: 11.

-أليس الصبح بقريب: طبع بتونس سنة 1967م، كما قامت دار الملتقى بسوريا بإعادة نشره وإصداره سنة 2010م.

ومن المحاور العامّة المطروحة في هذا الكتاب: الدعوة إلى المساواة والحرّيّة، والدعوة إلى العدالة الاجتماعيّة، والأمن وبيان تكريم الإسلام للمرأة، إلى غير ذلك من المواضيع التي جاءت في هذا الكتاب.

والكتاب يدور في موضوع إصلاح التعليم والنظم التربويّة السائدة في العالم الإسلاميّ عامّة وتونس بشكل خاصّ، فهو كتاب يحمل رؤية ابن عاشور تجاه البرنامج الإصلاحيّ، وقد شملت عناية الشيخ محمّد الطاهر ابن عاشور واتّجهت إلى إصلاح الكتب الدراسيّة وأساليب التدريس المتّبعة في معاهد التعليم ومؤسّساته، كما اهتمّت لجان من شيوخ الزيتونة بتشجيع هذا العمل. وفي هذا السياق عمل الشيخ ابن عاشور على استبدال كتب كثيرة كانت منذ عصور ماضية تُدرّس دون أن تُحَيَّن أو تُغَيَّر، ما جعلها فاقدة للمنفعة وغير مستجيبة لزمانها ولا لعصرها.

وباختصار، فإنّ كتاب "أليس الصبح بقريب" ضمّنه الشيخ ابن عاشور برنامجه الإصلاحيّ مع تقديم صورة دقيقة عن واقع التعليم بالعالم الإسلاميّ، إذ كان قصده هو أن يرتقي بالتعليم في جامعة الزيتونة إلى مصافّ الجامعات الإسلاميّة العريقة والراقية، فكرّس جزءاً من حياته لإصلاح التعليم وبرامجه ومناهجه في تونس والعالم الإسلاميّ⁽¹⁾. وهذه العناية بإصلاح نظام التربية والتعليم إنّما جاءت نتيجة الزيارة التي قام بها الشيخ محمّد عبده إلى تونس، والتي كان لها الأثر والوقع الكبير في نزوع الشيخ ابن عاشور نحو الإصلاح⁽²⁾.

(1) الميساويّ، الشيخ الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة، مصدر سابق، ص 145.

(2) المصدر نفسه، ص 57.

-الوقف وآثاره في الإسلام: وهو من كتبه التي لقيت بدورها شهرة واسعة بين طلبة الفقه الإسلامي. وهذا الكتاب في أصله رسالة صغيرة في اثنتين وثلاثين صفحة ردّ فيها الإمام ابن عاشور -رحمه الله- على رسالة تلقّاها حول موضوع الوقف الذريّ، وقد طُبعت هذه الرسالة بمكتبة الهداية بمصر.

-كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ: وهو من الشروح لموطأ الإمام مالك في الحديث النبويّ، وقد طُبِع هذا الكتاب مرّات عدّة؛ منها طبعة دار المقتبس ببلنّان سنة 2014م، وطبعة دار السلام سنة 2018م.

هذا، وقد استخلصه الشيخ ابن عاشور من أمّهات الشروح الأندلسيّة والمغربيّة الكثيرة التي وضعت على الموطأ؛ ومنها شرح الإمام الحافظ أبي الوليد الباجيّ الأندلسيّ (ت 474هـ)، وشرح ابن العربيّ الأشبيليّ (543هـ) وشرح ابن عبد البرّ النمريّ الأندلسيّ (ت 463هـ)، وشرح الزرقانيّ على موطأ الإمام مالك. وقد نال شرح ابن عاشور شهرة واسعة بين الشروح التي وُضعت على الموطأ. وقد اختار الشيخ الطاهر ابن عاشور الأسلوب السهل والقريب في شرحه لموطأ الإمام مالك بن أنس.

-موجز البلاغة: وهو كتاب مدرسيّ في علوم البلاغة، عرضه الشيخ ابن عاشور بأسلوب سهل ويسير، وقد نشر بتونس سنة 1932م، كما أعادت دار النور طبعه سنة 2019م، والكتاب وجهته مدرسيّة تعليميّة.

-كتاب تعليق وتحقيق على شرح حديث أم زرع: اعتمد فيه الشيخ ابن عاشور على كتاب القاضي عيّاض اليعصبيّ السبتيّ (ت 544هـ) الذي ألّف كتاباً بعنوان «بغية الرائد لما تضمّنه حديث أم زرع من الفوائد»، وقد قامت وزارة الأوقاف المغربيّة بطبع هذا الكتاب ونشره ضمن مطبوعاتها سنة 1975م، كما ظهرت طبعة أخرى جيدة منقّحة ومحقّقة نشرتها دار

الذخائر للنشر والتوزيع سنة 2000م.

- شرح ديوان بشار بن برد: وقد نشر في الجزائر في جزأين سنة 2017م.

- شرح قلائد العقيان ومحاسن الأعيان للمؤرخ الفتح ابن خاقان (ت

528هـ): جاء هذا الشرح في جزأين، وهو يكتسي أهمية قصوى في الأدب الأندلسي؛ فهو ترجمة لأعلام الأندلس، وقد صدر عن مكتبة المنار سنة 1989م. قال الشيخ ابن عاشور في مقدّمة تحقيقه لهذا الكتاب: «هو الكتاب الذي طار صيته في الأزمان، فخلد للأندلس بين أهل الأدب ذكراً معطّاراً، وأقام في كلّ مسلك من مسالك المعرفة مناراً؛ كتاب لم يخلُ ناشئ في الأدب عن الشوق إليه، ولا مبرّز من أن يكون بين يديه. فهو ديوان أدب في جواهره وأعراضه، جامع لأفانين الإنشاء وأغراضه»⁽¹⁾.

- نقد علمي لكتاب «الإسلام وأصول الحكم» لمؤلفه علي عبد الرازق، وقد أحدث هذا الكتاب ضجةً وزوبعةً شديدة بسبب أفكار مؤلفه وآرائه البعيدة والغريبة عن تعاليم الإسلام، وهو الكتاب الذي صدر بالقاهرة سنة 1925م، ثم أعادت طبعه دار السلام بمصر ونشرته سنة 2014م.

- جمهرة مقالات ورسائل الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: صدرت عن دار النفائس بالأردن سنة 2015م.

- كتاب مفردات القرآن الكريم: كتاب ظهر مؤخراً، وهو معجم في الكلمة القرآنية على غرار كتاب مفردات الراغب الأصفهاني (ت 502 هـ).

وتعود هذه العناية بجهة اللفظة القرآنية إلى قناعة الشيخ ابن عاشور بأهمية التحقق من اللفظة القرآنية؛ حيث قال في المقدمة: «القرآن كلام عربي، فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة»⁽²⁾.

(1) مقدمة الشيخ ابن عاشور على شرح قلائد العقيان، الجزء الأول، ص: 15.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج 1 ص: 18.

وكتاب ابن عاشور يُعدّ إضافة نوعيّة لكتب المعاجم القرآنيّة التي تُعنى بالتحقّق من الألفاظ القرآنيّة في الاستعمال والتطور. ومن أهم المعاجم القرآنيّة التي سعت إلى تحقيق المفردة القرآنيّة في الاستعمال القرآني:
- ما اتّفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد للمبرّد (ت 285هـ)۔

-مفردات الراغب الأصفهانيّ (ت502هـ)

-عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبيّ (ت756هـ).

-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي (ت817هـ).

-المعجم الفريد في معاني القرآن المجيد لمحمّد الجزّار الأزهرّي المصريّ⁽¹⁾.

- تفسير التحرير والتنوير: توصيف عام

يُعتبر تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر ابن عاشور من بين التفاسير التي نالت شهرة واسعة وكبيرة بين التفاسير الحديثة، وهذه الشهرة مرجعها أنّ هذا التفسير يُعدّ موسوعة تفسيرية لما حمله من علوم وما تضمّنه من معارف متنوّعة، ولاسيّما المعارف اللغويّة البلاغيّة والمعجميّة والدلاليّة التي لها علاقة مباشرة بالتفسير والاستمداد والبيان لكتاب الله، وهو ما أهل هذا التفسير لأن ينال متابعات أكاديميّة كبيرة وواسعة بين الباحثين والمشتغلين بالدراسات القرآنيّة في الفترة المعاصرة⁽²⁾.

أمّا صاحبه الشيخ الطاهر ابن عاشور فقد قال عنه الشيخ محمّد البشر الإبراهيمي «الأستاذ الأكبر الشيخ محمّد الطاهر ابن عاشور علمٌ من الأعلام

(1) لمزيد من التوسّع والتفصيل في العناية بالمفردة القرآنيّة يراجع: الخمسيّ، أحمد: التأليف المعجمي في مفردات القرآن الكريم، مجلة التراث العربيّ (مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق)، العدد 93 و94، السنة الرابعة والعشرون، السنة 2004م.

(2) لعويّنة، عبد الله: اتجاهات التفسير بالغرب الإسلاميّ في القرن الرابع عشر الهجري، الرابطة المحمّديّة للعلماء، سنة 2012م، ص:9.

الذين يُعدّهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية، مستقل في الاستدلال لها، واسع الثراء في كنوزها... أقرأ فأفاد، وتخرّجت على يديه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي، وتفرد بالتوسّع والتجديد لفروع من العلم»⁽¹⁾.

ومن الجوانب الأخرى التي تحضر في هذا التفسير جانب المقاصد القرآنيّة، فعادة ما يدرج تفسير «التحرير والتنوير» ضمن خانة التفسير المقاصديّ، والمقصد من التفسير هو إبراز مقاصد الشريعة الإسلاميّة وقيمه العليا في التفسير، وجعل هدي القرآن مرجعاً توجيهياً في تصحيح العلاقات الإنسانيّة والقضايا المجتمعيّة، ولاسيّما في علاقة المسلم بالقرآن الكريم وبتعاليمه الكبرى، وبدور هذه القيم والتعاليم في إصلاح الفرد والمجتمع بشكل عامّ.

وقد جاء هذا التفسير عاكساً لسعة الاطلاع العميق للشيخ ابن عاشور على كتب اللغة والمعاجم والأشعار والأمثال العربيّة من مصادرها الأصليّة. مضافاً إلى أنّه افتتح تفسيره بتقديم عامّ وشامل حمل عشر مقدّمات تضمّنت أهم العلوم التي لها علاقة بالتفسير ويحتاجها، وحملت هذه المقدّمة حديثاً موسّعاً عن مدارس التفسير واتّجاهاته ومناهجه وأصوله، وأنّها بمبحث حول إعجاز القرآن الكريم افتتحه بتصريحه بأنّ القرآن الكريم «هو المعجزة الكبرى للنبيّ ﷺ وللإسلام»⁽²⁾.

ولعلّ هذا الوصف المتعدّد المحمول في هذا التفسير هو الذي أهل هذا التفسير لأن يكون من أبرز التفاسير التي عملت على تقريب علوم اللغة العربيّة في التفسير، وهذا الوصف العلميّ هو الذي منحه أن يكتسب هذه الشهرة؛ فهو من أشهر التفاسير وأعمقها في العصر الحديث؛ لتميّزه واختصاصه بجهة اعتماد اللغة العربيّة وعلومها في بيان معاني الآيات القرآنيّة.

(1) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلاميّة، مصدر سابق، ص 20.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج 1 ص: 161.

ومن أهمّ الدراسات والبحوث الأكاديمية والعلمية التي أنجزت على هذا التفسير في جهة استثمار العلوم اللغوية والبلاغية وتقريبها:

- ابن عاشور مفسراً: للدكتور العلمي رشيد، وهي أطروحة جامعية بكلية الآداب في الرباط بالمغرب، أشرف عليها الدكتور التهامي الراحي سنة 1987م.

- الشيخ الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسير التحرير والتنوير: للدكتور ثامر مفتاح، من إصدار دار الثقافة في الدوحة بقطر سنة 1994م.

- منهج ابن عاشور في التفسير للدكتور نبيل صقر إصدار الدار المصرية سنة 2000م.

- أثر السياق في توجيه المعنى في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: دراسة نحوية دلالية للدكتور إبراهيم محمّد، الناشر دار المحدثين سنة 2008م.

- الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره «التحرير والتنوير»، المعاني والبديع: للدكتور جهاد إسماعيل، إصدار دار المقتبس سنة 2009م.

- درس النحوي في توجيه المعنى في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور: للدكتور عاطف فضل، بحث ضمن أعمال المؤتمر العالمي «الشيخ محمّد الطاهر ابن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر»، وهذا الكتاب من إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي سنة 2011م.

- البلاغة وأثرها في الطاهر ابن عاشور: للباحث محمود عبد الرزاق غوثاني، من إصدار معهد الدعوة الجامعي في بيروت بلبنان سنة 2011م.

- التأويل عند الشيخ الطاهر ابن عاشور؛ مفهومه-دلالاته-أنواعه: الدكتور

إبراهيم الوافي، منشورات الرابطة المحمّديّة للعلماء في الرباط بالمغرب سنة 2012م.

- أثر الدلالات اللغويّة في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير: دراسة دكتوراه مقدّمة لكلّيّة الدعوة وأصول الدين بجامعة أمّ القرى بالمدينة المنوّرة، وهذه الرسالة من إنجاز الباحث مشرف بن محمّد الزهرانيّ سنة 2019م.

- مستويات التأويل اللغويّ في التفسير عند الطاهر بن عاشور: للدكتور عبّاس أمين، أطروحة جامعيّة بكلّيّة الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربيّة في سيدي بلعباس بالجزائر، سنة 2019م.

- الاتّجاه اللغوي في تفسير «التحرير والتنوير» للطاهر بن عاشور: للدكتور محمّد نعمان حسن، مجلّة القسم العربيّ في لاهور، العدد الحادي عشر، جامعة لاهور في باكستان، سنة 2014م.

- إشكال علم التفسير من خلال مقدّمات تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر ابن عاشور: لمحمّد اليوسفي، مجلّة الترتيل المغربيّة، العدد 3، سنة 2016م.

- قواعد الترجيح عند ابن عاشور في التحرير والتنوير: للدكتورة عبير بنت عبد الله النعيم إصدار دار التدمريّة سنة 2016م.

- مظاهر التفسير اللغويّ: للدكتور ربيعي ميلود، مجلّة تنوير الجزائر، العدد التاسع، سنة 2019م.

- بلاغة القرآن الكريم عند الشيخ الطاهر ابن عاشور: للدكتور محمّد الريحانة، بحث ضمن ندوة «المفسّرون المغاربيّون المعاصرون»، كليّة الآداب الجديدة، المغرب، أبريل من سنة 2013م.

- أنماط العدول في القرآن الكريم من خلال تفسير التحرير والتنوير للشيخ

الطاهر ابن عاشور: للباحث سعاد السعيدّي، رسالة بكليّة الآداب في
وجدة بالمغرب، سنة 2021م.

وقد أقيمت مجموعة من المؤتمرات للتعريف بشخصيّة الطاهر ابن
عاشور؛ ومنها:

- مؤتمر المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ مع جامعة الزيتونة سنة 2014م،
وكان بعنوان «الأستاذ الإمام محمّد الطاهر ابن عاشور وإعادة تأسيس
العقل الفقهيّ الإسلاميّ».

- مؤتمر المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ في الشيخ بالمغرب سنة 2011م،
وكان بعنوان «محمّد الطاهر ابن عاشور؛ قضايا الإصلاح والتجديد في
الفكر الإسلاميّ المعاصر».

هذه الدراسات والبحوث على شخصيّة ابن عاشور وعلى تفسير التحرير
والتنوير إنّما تعود إلى أنّ هذا التفسير يحتوي على مادّة علميّة ثريّة
وواسعة في شتّى العلوم الإسلاميّة التي تشغل على المعنى وتحصيله في
كتاب الله، وهذه العلوم تشمل الفقه والأصول والنحو واللغة والمعجم
والاشتقاق والتصريف وعلم الوجوه والنظائر، إلى غير ذلك من العلوم
التي تشترك في الاشتغال على البيان والتفسير والاستمداد. وهذا ما يجعلنا
نقول إنّ كثيراً من العلوم قد نضجت وتأصّلت وتطوّرت في أحضان كتب
التفسير، بحيث اجتمع في تفسير التحرير والتنوير عدّد من العلوم التي
كانت في أصلها متفرّقة في مصادرها الأصليّة.

- الشيخ الطاهر ابن عاشور ومدرسة التفسير في العصر الحديث

يعتبر الشيخ الطاهر ابن عاشور من أبرز الوجوه العلميّة تشخيصاً
لمدرسة التفسير في العصر الحديث، وهي مدرسة لها عدّد من المميّزات
والخصوصيّات؛ ومن أبرز هذه الخصوصيّات أنّها مدرسة تراهن على البعد
الإصلاحيّ والتربويّ في إصلاح الفرد والمجتمع.

من جهة أخرى، يُعدّ الشيخ الطاهر ابن عاشور من أبرز المفسّرين الذين حملوا الدعوة إلى التجديد في التفسير، فهو من أبرز الشخصيات والوجوه العلميّة التي مثلت المدرسة الإصلاحية الاجتماعيّة في حركة التفسير في العصر الحديث⁽¹⁾.

كما إنّه يعترف في أكثر من مناسبة بأنّ تفسيره امتداد للحركة التفسيريّة الجديدة التي شيّدها الإمام محمّد عبده حيث قال: «إنّ التفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الآخرة، فهذا هو المقصد الأعلى وما وراءه تابع أو وسيلة لتحقيقه»⁽²⁾.

وهذا قد جعل الشيخ ابن عاشور يعمل على ربط التفسير بقضايا العصر وبمشاكله الحضاريّة، فكان كثير الإلحاح والإصرار على ضرورة التقيّد بمجموعة من المرجعيّات والمقتضيات والشروط والأصول التفسيريّة التي تقتضيها العمليّة التفسيريّة من حيث اعتبار التفسير بالرواية الصحيحة هو الأصل والقاعدة الأساس، قاصداً من ذكر هذه الشروط وسردها أن لا يخرج المفسّر عن أهداف التفسير السليم والسديد، فهو من أبرز علماء التفسير اختياراً ومراهنة على الفهم السديد وعلى الاستنباط السليم للمعنى من كتاب الله من خلال اشتراطه وتقييده بتمكّن المفسّر من مقتضيات التفسير ولوازمه؛ ومنها اللغة العربيّة وعلومها في التفسير.

وفي هذا الموضوع صرّح الشيخ ابن عاشور في أكثر من مناسبة بأن لا سبيل إلى الإقلاع الحضاريّ والثقافيّ إلا بتجديد الفهم لكتاب الله الذي يتقيّد بهذا المقصد التربويّ والتشريعيّ المحدّد في كون القرآن الكريم كتاب هداية وبناء الإنسان والمجتمع؛ لأن القرآن له الموقع المركزيّ في

(1) القيام، د. عمر: أدبيّة النص القرآني؛ بحث في نظريّة، ص: 11.

(2) رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، مصدر سابق، ج1، ص25.

حياة الإنسان المسلم بصفة عامّة⁽¹⁾.

ولعلّ هذا البعد المضموني والتربويّ والبيانيّ في تفسير التحرير والتنوير هو الذي جعل هذا التفسير يعتبر ضمن التفاسير الموسوعة المعتمدة؛ إذ شد الباحثين والدارسين في الدراسات القرآنيّة من حيث إنّه تفسير جامع للغة والبلاغة والفقه والمسائل الأصوليّة والقضايا الحضاريّة والتربويّة.

هذه الخصائص المذكورة تعني أن ظهور النزعة الإصلاحية في كتب التفسير ترجع في معظمها إلى أسباب تاريخية وأخرى اجتماعية، فالمعطى التعليمي والتربويّ والإصلاحيّ يحضر بقوة في تفسير التحرير والتنوير.

- تجديد التفسير عند الشيخ ابن عاشور

ما يميّز المدرسة التفسيرية التي ينتمي إليها الشيخ ابن عاشور هو حرصها الشديد على ربط الحاضر بالماضي من خلال الإقرار والاعتراف المبدئيّ بالجهد العلميّ الكبير الذي بذله الأقدمون في علم التفسير، وفي ما أنجزوه وما تركوه من تراث تفسيريّ تنوّعت مجالاته وتعدّدت مناحيه وقضاياها، واتسعت روافده، دون أن يعمدوا أو يصرّحوا أو يعلنوا عن نيّتهم في مصادرة أو مجاوزة أو تخطّي التراث التفسيريّ الذي تركه القدماء.

كما ألحوا وأصرّوا على ضرورة المحافظة على الأصول والأخذ بالمقتضيات والضوابط الناظمة والمسدّدة للعملية التفسيرية، وذلك بالاستفادة من تراث المفسّرين الأقدمين المشهود لهم بالتقيّد بأصول التفسير «لأنّ تجاهل فضل السابقين جحود للنعمة وطمس للمزايا، وهذا ليس من حميد خصال هذه الأمة»⁽²⁾.

(1) بوقمرة، د. الجيلي: أسس البناء الحضاريّ في منظور الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير، مجلة الاستيعاب، العدد 8، سنة 2021م، ص: 21.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج 1، ص: 4.

لكن على الرغم من هذه الدعوة إلى التجديد، والإصرار على التفاعل مع الواقع الجديد في سياقاته الجديدة، نجد أن من أبرز القيود والمقتضيات التي سطرها الشيخ ابن عاشور وأخذ بها لتحقيق السلامة والسداد في التفسير ما يلي:

- احترام الثوابت والأصول الناظمة للتفسير وعدم تجاوزها أو اختراقها أو تخطيها، رافضاً جميع الدعوات التي دعت إلى مصادرة التراث التفسيري القديم وتخطي مضامينه بدعوى التحديث.

- اعتبار التفسير النقلّي هو الأصل، فإذا صحّت الرواية والنقل فهو التفسير السديد وهو الأساس الأصل في الاعتبار، والتفسير بالعقل والاجتهاد هو تفسير تابع ومكمل للنقل.

- ضرورة المعرفة العميقة بمقومات التفسير وأصوله، والاطلاع على التراث التفسيري، والعمل على استيعابه استيعاباً علمياً شاملاً لمعرفة مواطن القوّة وعناصر الضعف في هذا التراث.

- أتباع ما دلّت عليه اللغة العربيّة من معان، وفهمه في سياق تنزيهه وما يقتضيه معنى الكلام في القرآن الكريم.

- استثمار علوم الآلة في التفسير، وبالأخصّ ما تعلق بعلوم اللغة العربيّة، فعلى الرغم من اختلاف أنواع التفسير في أشكالها وأنواعها وأصولها، فهي تحمل مشتركاً جامعاً وواحدًا، وهذا المشترك هو الوصول إلى المعنى المراد والمقصود في التفسير.

- التنصيص على أن عدم ضبط المفاهيم وعدم التحقق من الألفاظ في دلالتها الخاصّة والحقيقيّة من شأنه أن يؤدّي إلى استشكال المعنى على السامع والمتلقّي.

- التعدّد والتنوع في مصادر التفسير التي اعتمدها الشيخ ابن عاشور

واستعان بها في تفسيره للقرآن الكريم، فهي متعددة ومتنوعة⁽¹⁾.

- اعتبار اللغة المتداولة في زمن التنزيل هي المرجع والأداة في تفسير القرآن الكريم، فلا ينبغي إخراج النص القرآني عن لغته التي دُون بها، ولا عن بلاغته الأصليّة التي أبلغ بها، ولا عن معهود خطابه، بل لا بدّ من جعل لغة التنزيل موافقة لسياق التنزيل⁽²⁾، بحيث نصّ على وجوب الضبط للألفاظ بالاستناد إلى المعاجم القرآنيّة.

اللغة والبلاغة في تفسير التحرير والتنوير

لقد كان لعلمي اللغة والبلاغة الحظّ الأوفر والنصيب الأكبر في تفسير الطاهر ابن عاشور، وهذا ما يقف عنده الدارس ويحضر عند المتابع لهذا التفسير⁽³⁾؛ فقد كان يعتمد كثيراً على الظواهر البلاغيّة بشكل أساس في تفسيره لإظهار جماليّة الأسلوب القرآنيّ وإعجازه البيانيّ، بحيث كان يسوق القاعدة البلاغيّة لإظهار ما يحمله القرآن الكريم من خصوصيّة بلاغيّة ومن ظواهر أسلوبية، مضافاً إلى وقفاته المتكرّرة حول إعجاز القرآن الكريم، وهذا ما صرّح به في المقدّمة العاشرة في تفسيره عندما قال «إنّ مفسّر القرآن الكريم لا يُعدّ تفسيره لمعاني القرآن بالغ الكمال في فرضه ما لم يكن مشتملاً على بيان دقائق من وجوه البلاغة في آياته المفسّرة»⁽⁴⁾.

تبعاً للوصف المتقدّم في أهميّة البلاغة وفي ارتباطها بالتفسير، كان الشيخ ابن عاشور دائم الإشادة بعلم البلاغة؛ لأنّ «المعرفة بهذه الصناعة (أي البلاغة بأوضاعها وأقسامها وفروعها) يُعدّ عمدة التفسير، وهو السبيل للاطلاع على عجائب كلام الله»⁽⁵⁾.

(1) صقر، د. نبيل أحمد: منهج ابن عاشور في التفسير، ص:23.

(2) القرضاوي، د. يوسف: كيف نتعامل مع القرآن الكريم، ص:232.

(3) الريحانة، د. محمّد: بلاغة القرآن الكريم عند الشيخ الطاهر ابن عاشور، بحث ضمن ندوة «المفسّرون المغاربيون المعاصرون»، كليّة الآداب الجديدة في المغرب، أبريل من سنة 2013م، ص:27.

(4) التفسير والتحرير، ج1، ص:178.

(5) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، الجزء الأول ص:312.

هذه الجمالية الأسلوبية المحددة في استحضار الأساليب البلاغية أضفت على هذا التفسير طابعاً مميزاً وخاصاً، ومما يشهد لهذا الحضور المتعلق بالبلاغة في تفسير الشيخ ابن عاشور: حضور أعلام هذا العلم وكتبهم؛ مثل «دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة» للإمام عبد القاهر الجرجاني، و«المثل السائر» لابن الأثير، و«مفتاح العلوم» للإمام السكاكي، و«أسرار البلاغة» للإمام الزمخشري، مضافاً إلى مصادره الكثيرة في التفسير، وبالأخصّ التفاسير البيانية التي جاءت حاملة للنحو والبلاغة والمعجم⁽¹⁾، ومنها تفسير «الكشاف» للزمخشري...

خاتمة:

من خلال ما سبق ندرك أنّ تفسير النصّ القرآني شكّل جهة مشتركة وجامعة بين كثيرٍ من النظم والمعارف والعلوم، وقد عمل الشيخ الطاهر ابن عاشور على إرساء الأسس وإظهار مقومات البيان المؤدّي إلى فهم القرآن الكريم بشكل سليم من خلال وضع ضوابط الفهم، وشروط التفسير وأصول الاستمداد، وهو ما حضر في تفسيره التحرير والتنوير بشكل جليّ؛ علماً أنّ هذا التفسير يعدّ موسوعة تفسيرية كبيرة في العصر الحديث، إذ استثمر فيه كثيراً من العلوم، ولاسيما ما اتّصل بجهة اللغة العربية وعلومها، قاصداً من ذلك تحقيق المراد والوصول إلى القصد. كما إنّ وضع هذه الشروط والأصول التي يتوقف عليها التفسير لا يعني إبعاد العقل أو تقييده في تفاعله مع النصّ القرآني في بيان المراد من كلام الله.

(1) الصغير، د. محمود أحمد: الأدوات النحوية في كتب التفسير، الطبعة الأولى، دار الفكر في دمشق، سنة 2001م، ص: 12.